



رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

الثقافة الإسلامية تعريفها، نشأتها، خصائصها

إعداد

الدكتور مفرح بن سليمان القوسي

أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر
الثقافة الإسلامية.. الأصول والمخاض

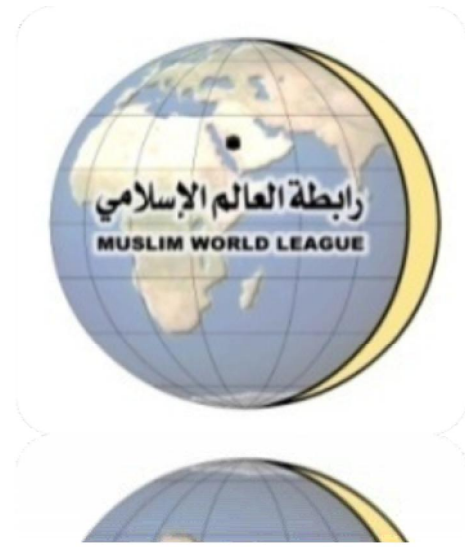
الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

٤-٦ / ذو الحجة / ١٤٣٥ هـ

٢٨-٣٠ / سبتمبر / ٢٠١٤ م



رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ - الفاكس: ٥٦٠١٣١٩-٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة - مكة، تليكس: ٥٤٠٠٠٩ و ٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فهذا زاد ثقافي متواضع أحسب أن الباحثين والدارسين في مجال الثقافة الإسلامية خصوصاً، وفي المجالات الأخرى عموماً؛ بحاجة ماسة إليه، ولا سيما في عصرنا الحاضر الذي تمثل فيه الثقافة الإسلامية مقوماً رئيساً من مقومات الأمة الإسلامية، وحصانة فكرية لكل مسلم، وسلاحاً قوياً لمواجهة الثقافات المناوئة والأفكار الدخيلة أعدتُه - باعتباري من المختصين بعلم الثقافة الإسلامية - بعنوان: (الثقافة الإسلامية: تعريفها، نشأتها، خصائصها).

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها الإشارة إلى أهمية موضوع البحث، وهدفه، وخطته، ومنهجه.

المبحث الأول: في تعريف الثقافة الإسلامية.

المبحث الثاني: في نشأة الثقافة الإسلامية وتطورها.

المبحث الثالث: في خصائص الثقافة الإسلامية.

الخاتمة: وفيها بيان موجز لأهمية الثقافة الإسلامية.

منهج البحث:

اتبعتُ المنهج التحليلي والمنهج الاستنباطي والمنهج الوصفي في إعدادة، مع العناية بما يلي:

- ١- الرجوع إلى المصادر الأصلية الخاصة بموضوع البحث.
- ٢- اعتماد أسلوب السهولة واليسر في طرح أفكاره وعرضها ومعالجة مسأله، واجتناب الإسهاب والإطالة وغموض العبارة.
- ٣- التزام الأمانة العلمية في العزو والاقْتباس والنقل.
- ٤- ترقيم الآيات القرآنية وبيان سورها.
- ٥- تخريج الأحاديث النبوية.
- ٦- العناية بقواعد اللغة العربية والإملاء وعلامات الترقيم.
- ٧- تزويد البحث بفهرس للمصادر والمراجع.

والله تعالى أسأل أن يلهمني الرشد والصواب، وأن يرزقني صدق النية وحسن العمل.

المبحث الأول تعريف الثقافة الإسلامية

أولاً: تعريف كلمة (الثقافة):

١ - التعريف اللغوي:

ترد كلمة (الثقافة) ومشتقاتها في اللغة العربية على معان عدة؛ منها:

الحذق والفتنة، وسرعة أخذ العلم وفهمه، والتهذيب، وتقويم المعوج من الأشياء، يقال: ثَقَّفَ الرجل ثَقْفًا وثقافة: أي صار حاذقًا فَطِنًا، وَثَقَّفَتَ العلم أو الصناعة في أوهى مدة: إذا أسرعتَ أخذه، ويقال: ثَقَّفَ الصَّبِيَّ: أي أدبه وهدَّبه، وَثَقَّفَ الرماح: أي سَوَّاهَا وقوَّمَ اعوجَّاجها^(١).

وقد تستعمل (الثقافة) بمعنى الأخذ والإدراك والظَّفَر، كما في قوله تعالى: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتْلُوا قَتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١]، وفي قوله: ﴿وَأَقْلَبُوا وَجْهَهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٩١]، وفي قوله أيضاً: ﴿فَأَمَّا ثَقَفْتُمُوهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٧].

يتضح لنا أن كلمة الثقافة تستعمل في الأمور المعنوية، والأمر الحسية، غير أن دلالتها على الأمور المعنوية العقلية أكثر من دلالتها على الحسيات.

أما في اللغات الأجنبية فيدور معنى (Culture) في أصلها اللاتيني على فلاحه الأرض وتنمية محصولاتها، ثم أخذت هذه الكلمة تتوسع في اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية لتشمل تنمية الأرض بالمعنى المادي أو الحسي، وتنمية العقل والذوق والأدب بالمعنى المعنوي، ثم طوَّرت معناها

(١) انظر: (أساس البلاغة) للزمخشري، و(مختار الصحاح) للرازي، و(لسان العرب) لابن منظور، مادة (ثقف).

فلاسفة العصور الحديثة، فأصبحت تعني: مجموعة عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات^(١).

٢- التعريف الاصطلاحي:

لم نجد عند علماء العربية والإسلام مفهوماً اصطلاحياً للثقافة، لأن الكلمة لم تكن شائعة الاستعمال عندهم، فلم نجدهم ينعنون العلماء أو الباحثين بها، كما لم يتناولوها بدراسة مستقلة أو مميزة.

وحين دخلت الثقافة الإسلامية - بوصفها علماً - في حياة المسلمين المعاصرة؛ انتشر التعبير بهذه الكلمة، فأصبحنا نصفُ فلاناً بأنه مثقف أو واسع الثقافة، وأصبحت لدينا مؤتمرات ثقافية وندوات ثقافية وكتب وموسوعات ثقافية، وعلى هذا جاء تعريف (الثقافة) بالمعنى الاصطلاحي تعريفاً حديثاً على يد المجمع اللغوي الذي عرّفها بأنها: «جملة العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذقُ بها»^(٢).

وعرّفها بعض التربويين بأنها: «مجموعة الأفكار والمثل والمعتقدات والعادات والتقاليد والمهارات وطرق التفكير ووسائل الاتصال والانتقال وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد»^(٣).

وعرّفها علماء الإنسان بأنها: «أسلوب الحياة في مجتمع ما بما يشمله هذا الأسلوب من تفصيلات لا تُحصى من السلوك الإنساني»^(٤).

(١) انظر: قسطنطين زريق: في معركة الحضارة، ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) د. رجب سعيد شهوان وآخرون: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) إبراهيم خورشيد: مفهوم الثقافة، مقال منشور بمجلة (الفيصل)، العدد العشرون، ص ٢٨.

وعرّفها بعض المفكرين المسلمين بأنها: «التراث الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به الأمة وينسب إليها، ويتلقاه الفرد منذ ميلاده وحتى وفاته»^(١).

أما في الغرب؛ فقد اهتم العلماء والمفكرون بتحديد المعنى الاصطلاحي للثقافة؛ حيث عرّفها (كِلْبَاتْرِك W.H.Kilpatrick) الأمريكي بأنها: «كل ما صنعتته يد الإنسان وعقله من مظاهر البيئة الاجتماعية»^(٢)، وعرّفها (جون لوك J. Lock) بأنها: «تهذيب العقل أو تهذيب الإنسان»^(٣)، وعرّفها: (تيلر E.B.Tylor) بأنها: «ذلك الكل المعقد الذي ينطوي على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف والعادات وغيرها من القدرات التي حصل عليها الفرد بوصفه عضواً في مجتمع»^(٤).

ثانياً: تعريف مصطلح (الثقافة الإسلامية)^(٥):

لا يوجد حتى الآن تعريف محدد متفق عليه لمصطلح (الثقافة الإسلامية)، وإنما هي اجتهادات لبعض العلماء والمفكرين، ومن هنا فقد تعددت تعريفاتها

(١) دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٨.

(٢) د. محمود شفشق وآخرون: التربية المعاصرة، ص ٣٩.

(٣) د. عبد الحليم عويس: ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، ص ١٦.

(٤) د. مصطفى الخشاب: علم الاجتماع ومدارسه، ص ١٨٩.

(٥) يجدر هنا قبل الدخول في تعريف (الثقافة الإسلامية)؛ التنبيه على نقطة مهمة في هذا الجانب، وهي أننا عندما تحدثنا عن تعريف (الثقافة)؛ فباعتبارها مصطلحاً عاماً من مصطلحات العلوم الإنسانية، أي على اعتبار أنها مجردة من إلحاق صفة التدين بها، فلم نصفها بأنها إسلامية أو غير إسلامية، بينما نحن هنا نُلحق بها صفة (الإسلامية) ونُتحدث عنها باعتبارها علماً على علم معين.

تبعاً لتعدد اتجاهات هؤلاء العلماء والمفكرين التي يمكن حصرها فيما يلي:

١- اتجاه يجعل (حياة الأمة الإسلامية) أساساً يدور عليه التعريف، وقد عرّف أصحاب هذا الاتجاه الثقافة الإسلامية بأنها: «معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة، بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، من دين، ولغة، وتاريخ، وحضارة، وقيم، وأهداف مشتركة»^(١).

ويقوم هذا التعريف على دراسة حياة الأمة الإسلامية من جميع جوانبها؛ على أساس أن لكل أمة ثقافتها التي هي عنوان عبقريتها وثمرتها اجتهداتها، وهي المعبرة عن روحها وشخصيتها والعلامة الكبرى المميزة لها بين الأمم، والدالة على الجهود التي أسهمت بها في تاريخ الإنسانية.

٢- اتجاه يجعل (العلوم الإسلامية) أساساً يدور عليه التعريف، وبهذا تكون الثقافة الإسلامية مرادفة (للدراستات الإسلامية) أو (التربية الإسلامية).

وقد عرّف أصحاب هذا الاتجاه الثقافة الإسلامية بأنها: «معرفة مقومات الدين الإسلامي بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، والمصادر التي استُقيت منها هذه المقومات»^(٢)، ويعني هذا دراسة العلوم الإسلامية الصرفة بجوانبها المتعددة؛ مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وما أضافه علماء الكلام والتفسير والحديث والفقهاء والسير من ثمرات الفكر الجاد والاجتهاد الأمين.

٣- اتجاه يرى أن الثقافة الإسلامية علم جديد، له موضوعاته الخاصة التي تميزه عن غيره من العلوم الإسلامية كالحديث أو التفسير أو الفقه أو

(١) د. رجب سعيد شهوان: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ١١ - ١٢.

(٢) المرجع السابق.

الأصول، وأنه علم أوجدته الأحداث والدراسات المعاصرة، وقد عرّف أصحاب هذا الاتجاه الثقافة الإسلامية بأنها: «معرفة التحديات المعاصرة المتعلقة بمقومات الأمة الإسلامية ومقومات الدين الإسلامي»^(١).

كما عرّفوها بأنها: «العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث الإنساني فيها»^(٢).

ولعل هذا التعريف الأخير هو أفضل تلك التعريفات وأقربها إلى الصواب؛ لاشتماله على موضوعات علم الثقافة الإسلامية الرئيسة، ولأنه تعريف كلي لا جزئي، لذا أشرح مفرداته فيما يلي^(٣):

العلم: هو الإدراك المبني على أدلة يرتفع بها عن المعرفة الظنية، وهو كذلك الدراسة المنظمة خلافاً لمجرد المعرفة.

منهاج الإسلام: المنهاج هو الطريق الواضح، والإسلام هو الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده في الاعتقاد والعمل، ومنهاج الإسلام هو طريق الإسلام ومنهجه المستمر إلى يوم القيامة، الذي جاء به النبي محمد ﷺ من ربه.

الشمولي: الكلي المترابط، فالثقافة الإسلامية تدرس منهاج الإسلام من حيث هو كل مترابط في القيم والنظم والفكر، وتخرج بذلك العلوم التي يُعنى كل منها بجانبٍ من جوانب الإسلام وما يندرج تحته من جزئيات؛ كعلمي

(١) المرجع السابق، ص ١٢.

(٢) مجموعة من المختصين في الثقافة الإسلامية: الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسماً علمياً، ص ١٣.

(٣) راجع: المرجع السابق، ص ١٣ - ١٦.

العقيدة والفقهاء مثلاً.

القيم: القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية وتختلف بها عن الحياة الحيوانية، كما تختلف الحضارات بحسب تصورها لها، مثل: الحق، والإحسان، والحرية.

النظم: مجموعة التشريعات التي تحدد للإنسان منهج حياته، مثل: نظام العبادة، والأخلاق... إلخ.

الفكر: عمل العقل ونتاجه، وفيه ثلاثة مجالات:

- ١- عمل العقل: وهو التفكير في مقوماته ومصادره ومناهجه... إلخ.
- ٢- قضايا الفكر: والقضية: مسألة ذات أبعاد متعددة مترابطة، لا تقبل المعالجة إلا في إطار عام^(١)، ومنها قضايا الوجود، والتطور، والعقلانية.
- ٣- المذاهب الفكرية^(٢): والمذهب: اتجاه يقوم على منظومة من المفاهيم بشأن الوجود والإنسان والحياة، قد يتجلى في فلسفة شمولية كالماركسية، وقد يتجلى في منظومة من المفاهيم المترابطة بعضها ببعض في وحدة متسقة كالاستشراق مثلاً.

(١) القضية في اللغة كالقضاء بمعنى الحكم. انظر: لسان العرب، مادة (قضى)، ثم أطلقت على مسألة متنازع فيها تُعرض على القاضي للبحث والفصل. انظر: المعجم الوسيط، ٧٤٩/٢، وفي المنطق: قول يُكوّن من موضوع ومحمول يحتمل الصدق والكذب لذاته. انظر: المعجم الفلسفي، ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) المذهب في اللغة: يطلق على المعتقد يُذهب إليه. انظر: لسان العرب، مادة (ذهب)، وهو حسب ما أقره مجمع اللغة العربية: مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها وحدة متسقة. انظر: المعجم الوسيط، ٣١٧/٢.

نقد التراث الإنساني فيها: النقد: كشف حال الشيء؛ لبيان جيده من زيفه^(١).

والتراث: ما يخلفه الرجل لورثته^(٢).

والتراث الإنساني: ما تُخلفه البشرية من ثقافة وحضارة وعلوم، والمراد بنقد التراث الإنساني فيها: فحصه وتقويمه إيجاباً وسلباً في مجالات القيم والنظم والفكر، ومواجهة ما يخالف الإسلام فيها.

(١) انظر: لسان العرب، مادة (نقد).

(٢) انظر: المصدر السابق، مادة (ورث).

المبحث الثاني

نشأة الثقافة الإسلامية وتطورها^(١)

العلوم الإسلامية ترجع في نشأتها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية بوصفها علومًا موثقة أو شارحة لنصوصهما، وعلم الثقافة الإسلامية لا ينفصل عن العلوم الإسلامية من حيث انبثاقه من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، والناظر في هذا العلم وتطوره يمكن أن يحدد لتاريخه أربع مراحل هي:

المرحلة الأولى: ما قبل التدوين:

ويراد بها تمثل شمول الإسلام في نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، فالوحي خطاب شامل لشؤون الحياة كلها، وأسلوب القرآن الكريم يختلف عن أسلوب العلم القائم على التقسيم إلى أبواب وفصول، وتناول جانب معين والتخصص فيه، فالآية القرآنية تأتي مشتملة على العديد من الجوانب؛ لأنها خطاب للإنسان بوصفه الكلي المركب الذي يتداخل فيه جانب الغيب مع جانب الشهادة.

ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]،

(١) انظر في هذا كلاً من: الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسماً علمياً، ص ١٧ - ٢٠ -
والدكتور محمد المبارك: نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ص ٢٠ - ٢١.

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعُلُوا
 الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ
 وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]،
 وقوله أيضاً: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقوله كذلك: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
 بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فهذه الآيات القرآنية جمعت في نسقٍ واحدٍ؛ توجيهاً تشريعيةً عمليةً،
 وعقائديةً، وأخلاقيةً تربويةً، هي من صميم علم الثقافة الإسلامية، وقد وعى
 المسلمون في صدر الإسلام هذا الشمول، واعتبروه عند النظر في نصوص
 الإسلام والعمل بها، وفي مخاطبة الآخرين برسالة هذا الدين.

المرحلة الثانية: مرحلة التفاعل الحضاري:

توسّع المسلمون في فتوح البلدان صحبه تفاعل مع الحضارات المجاورة
 وما لديها من تراث، وعمد المسلمون إلى استجلاب تراث أولئك الأقوام
 وترجمته، فنشأ تحدُّ جديدٌ لم يكن معروفاً من قبل، اقتضى المواجهة وإظهار
 تميز الإسلام، وأهم الجهود التي واجهت هذا التحدي برزت في علوم السنة
 على أيدي علماء الحديث، ومن أهمها: ما قام به الإمام البخاري من خلال
 كتابه الجامع الصحيح، الذي أظهر من خلال تراجمه شمول الإسلام
 لأوجه الحياة كلها، فكان بذلك تجسيداً للمنهاج الإسلامي الشمولي، وتبعه
 أكثر علماء الحديث في كتابة السنة وتقسيمها على الأبواب، بما يشمل أوجه
 الحياة كلها.

المرحلة الثالثة: مرحلة التجديد:

مرَّ الفكر الإسلامي - كغيره - بفترة ركود، كشأن الأمم بعد حركتها وازدهارها، وكان من آثار الركود على هذا الفكر: ما ظلله من غياب البعد الشامل، وسيادة النظرة الجزئية لدى معظم علماء تلك الفترة؛ بسبب الانكفاء على التخصص، وغلبة التقليد، مما دفع بالعلماء الذين أحسوا خطورة الوضع إلى كسر الركود، والتنبيه على ترابط العلوم الإسلامية؛ لأداء وظيفتها المتمثلة في بيان الحق.

ومن الجوانب التي عُنيَ بها المجددون من العلماء والدعاة: البعد الشامل للإسلام، وحسبنا الإشارة إلى أبرزهم، وهو الإمام ابن تيمية الذي قام بحركة نقدٍ لتراث الحضارة الإسلامية بنهج سلفي يتسم بالشمولية في العرض والنقد، مما جعل تراثه مرجعاً أساساً للمصلحين ولا سيما في العصر الحديث. ومنهم: الشيخ ولي الله الدهلوي الذي اهتم بعرض الإسلام بمنهج شمولي في كتابه (حجة الله البالغة)، ورأى أن هذا العلم الذي أودعه كتابه أحد علوم الحديث، مشعراً بميزة هذا العلم وأهميته، ذاكراً فضل الله عليه بإلهامه هذا العلم.

وفي العصر الحديث طرأ وضع جديد على العالم الإسلامي، وهو الاتصال الثقافي وما أفرزه ذلك من تحديات للفكر الإسلامي، تردد صداها على يد علماء ومفكرين ودعاة؛ لفضح الأساس الإلحادي للثقافة الغربية التي بدأت تضع أقدامها في العالم الإسلامي في شكل مؤسسة تعليمية، وبيان شمول الإسلام وقدرته على تحقيق النهضة.

وقد توالى الصيحات والنداءات، وتوالى الأفكار والكتابات؛ لبيان شمول الإسلام، وصد الغزو الثقافي القادم من الغرب، وكان المنهج المناسب لذلك هو المنهج الشمولي؛ لما تتصف به الإيديولوجيات الغازية من شمول في تحديها، وقد اندرجت تلك الكتابات في الإطار العام للإسلام والحضارة الإسلامية؛ بياناً للحق، ودفعاً للباطل، فكان نتيجة ذلك: وجود طائفة من الأفكار والكتابات ذات المنزع الشمولي في إطار التجديد والدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، ولكنها لم تأخذ تسمية معينة.

المرحلة الرابعة: مرحلة تسمية العلم:

إن الجهود السابقة المشار إليها في المرحلة الثالثة؛ لفتت الانتباه إلى أهمية توعية الأجيال بهوية الأمة وتميزها، وفضل إسلامها واختلافه عن الديانات الأخرى، وضرورة تحصينها من التحديات التي تواجهها بسبب غلبة العالم الغربي الذي يخالف الأمة الإسلامية في تصورها وشريعتها، لذا فقد تم إدخال تلك الأبحاث والموضوعات تحت مسمى علم جديد تقرر تدريسه في المستوى الجامعي، وكانت البداية باسم (نظام الإسلام) حين تم تدريسه في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وكان للأستاذ محمد المبارك رَحِمَهُ اللهُ فضل السبق في ذلك والدعوة إليه، ثم اتخذت إطاراً أوسع، وأدخلت تحت مسمى (الثقافة الإسلامية)، فأصبحت علماً إسلامياً مستقلاً أُضيف إلى العلوم الإسلامية، يؤدي وظيفته في بيان شمول الإسلام لشؤون الحياة، والدفاع عنه ونقد ما سواه.

المبحث الثالث

خصائص الثقافة الإسلامية^(١)

للثقافة الإسلامية خصائص عديدة تمتاز بها عما سواها من الثقافات الأخرى، منها:

١ - ربانية المصدر:

الربانية، ومعناها: الانتساب إلى الله سبحانه وتعالى^(٢).

والمقصود: أن مصدر الثقافة الإسلامية مصدر رباني لا بشري، لأنها تستمد أساساً من الوحي الإلهي كتاباً وسنة، ومنهجها ذو الطابع الشمولي مأخوذ من منهجها كما ذكرنا سابقاً.

لذا فتصور الثقافة الإسلامية للوجود بكل خصائصه ومقوماته؛ مستمد من الله من خلال ما جاء في كتابه الكريم، فهو سبحانه وتعالى خالق الكون والإنسان، وكل ما في الكون يسير على سنته التي وضعها فيه، ومسخر لصالح الإنسان، والإنسان مستخلف من الله في أرض الله.

والثقافة الإسلامية ربانية تواجه كل الثقافات المادية، وتُبنى على أساس قوي من الإيمان بالله وتقواه، وتهتم بغايات الأشياء وأصولها البعيدة، فتنظر إلى

(١) انظر في هذا كلاً من: د. يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام ص ١٢٧، ١٣٠،

١٣١، ١٣٩ - د. نادية شريف العمري: أضواء على الثقافة الإسلامية ص ٣١ - ٣٢ -

د. محفوظ عزام: نظرات في الثقافة الإسلامية ص ٣٥، ٣٨ - أحمد محمد جمال: محاضرات

في الثقافة الإسلامية ص ١٨.

(٢) انظر: لسان العرب، مادة (رب).

الحياة لا على أنها الغاية الأسمى والممثل الأعلى بالنسبة للإنسان - كما ينظر إليها الماديون - بل على أنها قنطرة إلى الآخرة، ومرحلة مؤقتة ينبغي على الإنسان استثمارها في كل ما يقربه إلى الله عز وجل للنجاة من سخطه وعذابه والفوز بجنته ورضوانه.

وهذه الخاصية تعطي الثقافة الإسلامية قيمة التفرد والخلود، ذلك أن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه إلى قيام الساعة، بينما الكتب السماوية السابقة وكَلَّ الله حفظها إلى أهلها فلم يراعوها حق رعايتها، ولذا طرأ عليها التحريف والتبديل، وأضيف إليها الكثير من الشروح والتفسيرات والتعليقات.

كما أن هذه الخاصية تُضفي على الثقافة الإسلامية صفة السلامة من التناقض والاضطراب، لأن النصوص الشرعية الصحيحة التي تُستمد منها هذه الثقافة؛ لا يجوز أن تتعارض فيما بينها، ولا أن ينقض بعضها بعضاً، بينما الثقافات الأخرى تصدر عن عقل بشري محض، فيها كثير من الاختلاف والتناقض، لأن البشر من طبيعتهم الاختلاف والتناقض من عصر إلى عصر، ومن قطر إلى قطر، بل وفي العصر الواحد والقطر الواحد، والشعب الواحد والفئة الواحدة، والفرد الواحد، ومن وقت إلى آخر.

٢- التوازن:

تتميز الثقافة الإسلامية بأنها متوازنة، وذلك لقيامها على أسس عقائدية متوازنة، وعلى مناهج فكرية متوازنة، لا إفراط فيها ولا تفريط، ولا مغالاة ولا تقصير.

ففي مجال العقيدة: يقوم تصور الثقافة الإسلامية على أساسين متوازنين؛ أولهما: الإيمان بالغيب، والثاني: الإيمان بالشهادة، وهذا الإيمان بشقيه يتلاءم مع فطرة الإنسان التي تريد أن تركز إلى قوة عظيمة غيبية غير مرئية تستمد منها

العون وتجد في صلتها بها الأمنَ والطمأنينة.

ويسعى هذا التصور إلى التوسط بين الخرافيين الذين يسرفون في الاعتقاد فيصدقون بكل شيء ويؤمنون بغير برهان، وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس ولا يستمعون لصوت الفطرة ولا لنداء العقل ولا يخضعون لدلالة المعجزة، ويقف هذا التصور في نظرتَه للإنسان موقفاً وسطاً متوازناً بين من اعتبروا الإنسان روحاً علوياً سُجن في جسد أرضي، وأنه لا تسمو هذه الروح إلا بتعذيب الجسد وحرمانه من احتياجاته المشروعة كالبرهمية وبعض طوائف الصوفية، وبين من اعتبروا الإنسان جسداً محضاً وكياناً مادياً صرفاً كالمذاهب المادية الغربية.

وفي مجال المعرفة: تقف الثقافة الإسلامية موقفاً وسطاً متوازناً بين الذين يمجدون العقل ويُعدونه المصدر الوحيد لمعرفة حقائق الوجود، وبين الذين يهملون وظيفته في تلك المعرفة وينكرونها.

وفي مجال النظام الاجتماعي تلتقي - في ظل الثقافة الإسلامية - الفردية والجماعية في صورة وسطية رائعة تتوازن فيها حرية الفرد ومصصلحة الجماعة، وتتكافأ فيها الحقوق والواجبات، وتتقاسم فيها المغانم والتبعات بالقسطاس المستقيم.

٣- الإيجابية:

ومن مزايا الثقافة الإسلامية: الإيجابية الفاعلة في علاقة الإنسان بالكون والحياة في حدود المجال الإنساني، وهذا ناتج من أن مبادئ الإسلام ليست مجرد مجموعة من القيود والضوابط الرادعة، وإنما هي - في صميمها - قوة بناءة وحرارة دافعة إلى النمو المطرد، وانطلاق إلى الحركة والعمل.

إن العمل والإيجابية صورة أخلاقية في الثقافة الإسلامية تتواءم مع غاية الوجود الإنساني كما يصورها الإسلام، وهي الخلافة في الأرض واستخدام ما سخره الله للإنسان من إمكانات وقوى وطاقات في البناء والتعمير كي تتحقق العبودية الخالصة لله تعالى في أرضه.

والثقافة الإسلامية إيجابية؛ لأنها تلزم المسلم بالعمل بحسب طاقاته وإمكاناته ومواهبه، كي يؤثر في الكون تأثيراً فاعلاً، فيكون إيجابياً في عقيدته متفاعلاً معها مدركاً لمعانيها، يحيا بكل عنصر من عناصرها، ويسارع لتمثيل كل ركن من أركانها فيجسده واقعاً يرقى به نحو الأفضل والأكمل، ويكون كذلك إيجابياً في دعوته، فيهتم بأمر المسلمين وشؤونهم، ويسعى جاهداً لتغيير كل واقع لا يخضع لحكم الله ولا يدين بدين الحق، كما يسعى إلى تغيير نفوس من رضوا بالحياة الدنيا عن الآخرة، فأنحصرت اهتماماتهم في أهواء عابرة، ونسوا أنفسهم وضيعوا الفرائض وتهاونوا في أداء العبادات وتقايسوا عن أداء الحقوق إلى أصحابها، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

٤ - العالمية:

فالثقافة الإسلامية إنسانية عالمية تنظر إلى الناس بمقياس واحد، لا تفسده قومية أو عنصرية، ولا يحيف عليه جنس أو لون، ذلك أن الرابطة التي تربط بين الناس - في مفهوم الثقافة الإسلامية - هي رابطة العقيدة، ومعيار التفاضل بينهم هو معيار التقوى والعمل الصالح، فبه يرتفع قدر الفرد أو ينخفض، كما يقرر ذلك الله عز وجل في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

وَقَبَائِلَ لِيَتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَرَكُمُ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣]، وكما يقرره النبي محمد ﷺ في قوله: «يا أيها الناس؛ إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بأبائها، فالناس رجالان: رجلٌ برٌّ تقيٌّ كريمٌ على الله، وفاجرٌ شقيٌّ هينٌ على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب»^(١).

إن عصبية العشيرة والقوم والجنس واللون والأرض؛ عصبية صغيرة متخلفة جاهلية، عرفتھا البشرية في فترات انحطاطها الفكري والروحي، ولا تصلح أن تكون القيمة العليا والغاية القصوى التي يجتمع عليها الناس على مرّ العصور وتعاقب الأجيال، وإنما الذي يصلح لذلك: العصبية للعقيدة الإسلامية الصحيحة التي تجمع شتات الناس وتوحد بينهم - مع تباعد أماكنهم واختلاف ألوانهم وتباين لغاتهم - وتجعل الإيمان بالله وطاعته وتقواه الهدف الأسمى والقيمة الخالدة.

٥ - سلوكية أخلاقية:

وتمتاز هذه الثقافة كذلك بأنها سلوكية لا ينفصل فيها القول عن العمل، ولا العمل عن الإخلاص، قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

كما تمتاز بأنها ثقافة أخلاقية تعتبر الصدق والأمانة والوفاء والحياء والحب والرحمة والتواضع وغيرها من الفضائل؛ نبراساً هادياً لها في كل عبادة ومعاملة وتوجيه وتنظيم، في كل الظروف والأحوال.

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب (المناقب)، باب (في فضل الشام واليمن)، ٧٣٥/٥، وروى نحوه أبو داود في سننه، كتاب (الأدب)، باب (التفاخر بالأنساب)، ٣٣١/٤، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) برقم (٧٧٤٤) ٦/٢٧١.

فهي مثلاً تسعى إلى تربية المسلم على المبادئ الفاضلة وبناء شخصيته على أساس من القيم والمثل العليا، وتهذيب نفسه من كل المساوئ والردائل الخلقية، باعتبار أن الأخلاق الحسنة جزءٌ من بناء الإسلام المتكامل، كما تسعى إلى أن يعيش المسلمون ويتعاملون فيما بينهم في جميع مناحي الحياة؛ في إطار من وحدة القيم الخلقية النابعة من العقيدة الإسلامية، المستهدفة بهدي الرسول ﷺ الذي كان ولا يزال مثلاً يُحتذى في حُسن الخلق وطيب المعاملة، ولذا أثنى الله تعالى عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والمثل والقيم التي تدعو إليها الثقافة الإسلامية؛ أخلاق تركز على الوازع الديني الداخلي المرتبط بالخالق سبحانه وتعالى، لا على الضمير المادي والقانون الوضعي، كما أن الميزان في الحكم على الأخلاق - في مفهوم الثقافة الإسلامية - من حيث الحُسن والقُبْح هو الشرع، فالحسن منها ما حسَّنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع، وأما العقل فهو تابع للشرع في ذلك.

وبهذا كله تميزت هذه الثقافة عن الثقافات الغربية المادية التي افتتنت بالعقل والعلم وحدهما وأهملت الجانب الخلقي لدى الإنسان، واعتبرته وسيلة من وسائل المنفعة المادية وتحصيل الكسب.

الخاتمة

تبين لنا مما سبق؛ أهمية الثقافة الإسلامية ومسيس الحاجة إليها في زمننا الحاضر، ومما يُجلبى هذه الأهمية: الإشارة إلى الأهداف والغايات السامية للثقافة الإسلامية وضروراتها، أما الأهداف، فمنها:

١- إبراز النظرة الشمولية للإسلام؛ بوصفه كلاً مترابطاً أساسه التوحيد، والتخلص من النظرة الجزئية للإسلام؛ التي تقصره على بعض جوانب الحياة.

٢- تعميق انتماء المسلم إلى الإسلام، وربطه بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وتبصيره بما في هذين المصدرين الرئيسيين من أصول القيم الخلقية والحضارية ومقوماتها وأسس النظم لجوانب حياته، والمنهجية السديدة لحركته الفكرية من أجل تحقيق غايتين:

أ- جعل صلته بدينه صلة إيمانٍ حي، وتطبيقٍ واعٍ في الخلق والسلوك والفكر.

ب- تحصينه اعتقاداً وفكراً وسلوكاً من التيارات الفكرية الغازية المعارضة للإسلام.

٣- تجلية موقف الإسلام من قضايا العصر وبخاصة في مجالات العلوم المختلفة، وحركة الفكر، ونظم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، ونقدها وفق المنظور الإسلامي، ورد مفتريات أصحابها على الإسلام.

٤- بيان تفوق الإسلام وسموه على المذاهب الإنسانية والأديان الوضعية في كافة شؤون الحياة، وإظهار قدرته على تحقيق السعادة الإنسانية في مقابل إخفاق تلك المذاهب والأديان.

٥- إعطاء صورة وافية عما صنعه رسالة الإسلام العامة الشاملة في الحياة الإنسانية، من تحريرها البشر من الوثنيات والخرافات، وإنقاذهم من التخلف الفكري، والتفكك الاجتماعي، والجذب الحضاري، ومن نصرتها على الصعيد العالمي لكل القيم الفاضلة من الحق والخير والعدل والمساواة، ومن دعوتها للالتزام بالمنهج العلمي في اكتساب المعارف، وتوجيه الطاقات والمهارات نحو نفع الإنسان وخيره، ومن بنائها الشامخ لأجل حضارة وأفاهاء، وأبعدها أثراً في نهضة الإنسان وتقدمه في كل مجال ومكان.

٦- تشخيص حال الأمة الإسلامية في مجالي الفكر والسلوك والحركة الحضارية، وبيان مواطن الخلل فيها ومنهج علاجها، والسبيل إلى إقامته وفق المنهاج الإسلامي القويم.

٧- دراسة الاتجاهات الإصلاحية والتجديدية السائدة في العالم الإسلامي، وأساليبها وتقويمها، لكشف الباطل منها وتقوية الصالح فيها.

ولهذه الأهداف السامية كانت الثقافة الإسلامية ضرورة ملحة للمسلم المعاصر، فهي:

أولاً: ضرورة وجود النسبة للفرد المسلم في عصر الصراع «الإيديولوجي».

ثانياً: ضرورة لاتخاذها سلاحاً قوياً لمحاربة الإحلال الثقافي والغزو الفكري المتمثل في نشر المذاهب الهدامة والتصورات الباطلة.

ثالثاً: ضرورة لاتخاذها معياراً نقدياً في يد الداعية المسلم لتقويم الانحرافات في الحياة الإسلامية.

رابعاً: ضرورة لتقديم الفكر الإسلامي الأصيل للعالم كله؛ بوصفه فكراً قوياً قادراً على المواجهة، لا بوصفه فكراً ضعيفاً مذنباً.

خامساً: ضرورة للحفاظ على ذاتية المسلم وهويته فكراً وسلوكاً.

سادساً: ضرورة لوضع الأمة الإسلامية في المكان اللائق الذي كانت فيه أيام مجد الإسلام وعِزه^(١).

والله تعالى أعلم، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

(١) انظر كلاً من: الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسمًا علمياً، ص ٢٣ - ٢٤ - د. أحمد العسال: مادة الثقافة الإسلامية، مقال بمجلة (المسلم المعاصر)، العدد (١٥)، ص ١٥٣ - د. محفوظ عزام: نظرات في الثقافة الإسلامية، ص ٣١ - ٣٢.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أساس البلاغة: محمد بن عمر الزمخشري، ط عام ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، دار مطابع الشعب، القاهرة.
- ٣- أضواء على الثقافة الإسلامية: د. نادية شريف العمري، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٤- التربية المعاصرة: د. محمود شفشق وآخرون، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، دار القلم، الكويت.
- ٥- الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسماً علمياً: إعداد: مجموعة من المختصين في الثقافة الإسلامية، ط الأولى ١٤١٧هـ، بدون ذكر الناشر.
- ٦- ثقافة المسلم في وجه التحديات المعاصرة: د. عبد الحلیم عويس، ط عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، النادي الأدبي: الرياض.
- ٧- الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي، ط الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، مكتبة وهبة: القاهرة.
- ٨- دراسات في الثقافة الإسلامية: د. رجب سعيد شهوان وآخرون، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، مكتبة الفلاح: الكويت.
- ٩- سنن أبي داود: طبعة دار إحياء السنة النبوية.
- ١٠- سنن الترمذي: الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض.
- ١١- صحيح الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، المكتب الإسلامي، بيروت.

- ١٢- علم الاجتماع ومدارسه (الكتاب الثاني: المدخل إلى علم الاجتماع)، د. مصطفى الخشاب، ط عام ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، المؤسسة المصرية ودار الكاتب العربي، مصر.
- ١٣- في معركة الحضارة: قسطنطين زريق، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، دار العلم للملايين، بيروت.
- ١٤- لسان العرب: أبو الفضل جمال بن منظور، طبعة دار المعارف، القاهرة.
- ١٥- محاضرات في الثقافة الإسلامية: أحمد محمد جمال، الطبعة الثالثة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، مؤسسة دار الشعب، القاهرة.
- ١٦- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ١٧- المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عالم الكتب، بيروت.
- ١٨- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعة المكتبة العلمية، طهران.
- ١٩- نظام الإسلام العقيدة والعبادة: د. محمد المبارك، ط عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، المكتبة الشعبية، بيروت.
- ٢٠- نظرات في الثقافة الإسلامية: د. محفوظ علي عزام، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار اللواء، الرياض.

ثانياً: الدوريات:

- ١- مجلة (الفيصل): العدد العشرون، الصادر في صفر ١٣٩٩هـ - يناير ١٩٧٩م.
- ٢- مجلة (المسلم المعاصر): العدد الخامس عشر، الصادر عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.